أثر الآلهة في أدب بلاد الرافدين
في ضوء النصوص المسمارية

أ.د. نوالة أحمد محمود المتولي
جامعة بغداد – كلية الآداب
قسم الاثار

م.د. فاطمة عباس المعموري
جامعة الكوفة – كلية الاثار

المقدمة:

يعد الادب من الجوانب الحضارية المهمة التي ابدع فيها سكان بلاد الرافدين بغزارة وجمال ابداعاتهم الفكرية التي من خلالها استطاعوا ان ينقلوا لنا العديد من المقومات والعناصر الحضارية التي مارسها ابناء الرافدين والتي انعكست كإنجازات حضارية رائعة من عمارة وفنون وتجارة وصناعة وازياء وطقوس وشعائر وصلت الينا من بين سطور ذلك العطاء الفكري الرائع الذي خلفه لنا من ملاحم واساطير وتراتيل ومراثي للمدن وقصص وشعر وحكم وامثال ، وجميع هذه النتاجات كان الاله هو العنصر الاساسي في نسجها وصياغتها ، نظرا لاهمية الاله والدين في المعتقد الرافديني قديما وحديثا ، وقد تناولت في بحثي هذا مقتطفات من تلك النتاجات الادبية مع بيان تأثير الالهة في تلك النتاجات وعمقها والتي تجسدت من خلال تكريس العمل او بطولة النتاج الادبي او السعي للوصول لرضا الاله وكسب جانبه وتضمن البحث مبحثين تناول المبحث الاول (اثر الديانة في الفكر الرافديني) في حين تناول المبحث الثاني (اثر الالهة في النصوص الأدبية) وخلاصة للبحث مع خلاصة مترجمة للغة الانكليزية وختم البحث بقائمة للمصادر المعتمدة في البحث .

اثر الديانة في الفكر الرافديني:

كان للديانة اثرها البارز والمهم في الفكر العراقي القديم اذ ان ديانة بلاد ما بين النهرين هي المعتقدات والممارسات الدينية التي كان يؤمن بها السومريين والأكديين الجزريين الشرقيين والأشوريين والبابليين ومن ثم آمن بها المهاجرين الآراميين والكلدان الذين كانوا يعيشون في بلاد ما بين النهرين (منطقة تشمل العراق الحديث وجنوب شرق تركيا وشمال شرق سوريا) والتي كانت تحكم المنطقة لمدة ٤٢٠٠ سنة، منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد في جميع أنحاء بلاد ما بين النهرين وحتى القرن العاشر تقريباً بعد الميلاد في آشور، ومبدأ الإيمان بأكثر من آلهة.[١]. كانت ديانة بلاد الرافدين ديانة شركية تعددية لذلك كان وجود أكثر من آلهة مختلفة ذكوراً وإناثاً أمراً مقبولاً، وبالرغم من ذلك فقد كانت ايضاً تعتبر توحيدية بالنسبة لبعض المتعبدين الذين كانوا يرون آلهة محددة أرفع مقاماً من البقية ،

لكن هذا في رأي لا يعد توحيدا بل انه تفضيلا لإلهة عن الاخرى طالما انها قد شبهت بالبشر فلابد ان تأخذ جميع صفات البشر عدا الخلود الذي انفردت به الالهة ،وكان هؤلاء المتعبدون في كثير من الأحيان من مدن معينة أو دويلات مدنية صغيرة كانت ترى الإله كحامي لها، على سبيل المثال: الإله أنكي كان اسمه غالباً مرتبط بمدينة إريدو والإله آشور ارتبط اسمه بمدينة آشور والإله إنليل ارتبط بمدينة نيبور والإلهه عشتار ارتبطت بمدينة اربيل والإله مردوخ ارتبط اسمه بمدينة بابل وعلى الرغم من أن العدد الكلي للآلهة والإلهات التي وجدت في بلاد ما بين النهرين ، أحصى ما يقارب ٢٤٠٠ آلهة نعرفها الآن ومعظمها كان لها أسماء سومرية[٢]. عرفت الآله في اللغة السومرية بدنكير (dingir) وفي اللغة الأكادية كانت عرف بإسم (illu) إيلو[٣]، وعلى ما يبدو كان هناك جمع و توفيق بين عبادة آلهة هاتين الحضارتين فقد كانوا يتخذون آلهة بعضهم بعضاً آلهة يعبدونها، وهذا كنتيجة لانسجام الحضارتين مع بعضهما وانصهارهما في بودقة واحدة، امتازت آلهة بلاد ما بين النهرين بالعديد من أوجه الشبة مع البشر ولكونها مصورة في شكل بشري فهي لديها مواصفات بشرية ، فهي أيضاً تتصرف كالبشر وتحتاج المأكل والمشرب بالإضافة إلى شرب الكحول وبالتالي فهي تعاني من آثار السكر، وعلى الرغم من هذا فأنه كان يُعتقد أنها تحتل درجة كمال أعلى من البشر ،وانها لا تتأثر بمفعول شرب الكحول والخمر ولهذا قدمت لها على هيئة قرابين وغذاء وتذور [٤]. كما يُعتقد بأنها أكثر قوة من البشر وترى كل شيء وتعلمه وهي فوق كل شيء بالإضافة إلى أنها غامضة ومخلدة . كان أحد أبرز سماتها هو ضيائها المخيف (ميلامو) والذي كان يحيط بها مما يبعث الرهبة والخشوع في نفوس البشر فور رؤيتهم الآلهة في كثير من الحالات، كانت الآلهة ترتبط بروابط أسرية بين بعضها، وهي سمة وجدت في العديد من الديانات الشركية الأخرى لهذا اعتقد بعض الباحثين أن الآلهة لم يكن يُنظر إليها بروحانية بل كانت تُرى على أنها أسياداً يجب أن تُطاع وتُخشى لا أن تُحب وتُعشق.. إضافة إلى ذلك، كان لدى العديد من شعب بلاد ما بين النهرين، بكافة فئاتهم ، أسماء مخصصة لإله معين؛ ويبدو أن هذه التقاليد قد بدأت في الألفية الثالثة قبل الميلاد بين السومريين ثم اتبعهم لاحقاً بهذا التقليد الأكديين كذلك، في البداية لم يكن هناك أي ترتيب للمعبد ولكن لاحقاً جاء علماء دين بلاد ما بين النهرين بمفهوم لترتيب الآلهة من حيث الأهمية، وتم اكتشاف قائمة سومرية تضم حوالي ٥٦٠ آلهة مرتبة في فارا وتل أبو الصلابيخ، والتي صنفت خمسة آلهة أولية على أنها ذات أهمية خاصة ويعود تاريخها إلى عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد تقريباً [٥]. كان الإله إنليل واحداً من أهم أوائل آلهة بلاد ما بين النهرين والذي كان في الأصل إله سومري يعتبر ملك الآلهة وحاكم العالم، ثم بعد ذلك اتخذه الأكاديين إلهاً لهم. إله آخر، كان الإله السومري آن والذي أدى دوراً مشابه لدور الإله إنليل

وعُرف بإسم أنو بين الأكديين. ثم اتخذوا فيما بعد الإله السومري إنكي إلهاً لهم أيضاً ففي البداية كان يُعرف بإسمه الأصلي ثم عُرف لاحقاً بإسم إيا. وعلى نحو مماثل أصبح يُعرف إله القمر السومري نانا بإسمه الأكدي (suen) (سين) وعُرف إله الشمس السومري (Utu) أوتو بإسمه الأكدي (shamsh) شمش[٦] ، وكانت أحد أبرز آلهة السومريين هي آلهة الجنس والحرب إنانا. ومع زيادة نفوذ البابليين في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، أعلن الملك حمورابي مردوخ إله وأعطاه منصب السيادة إلى جانب أنو وإنليل في جنوب بلاد ما بين النهرين، ولم يكن لمردوخ أهمية كبيرة قبل ذلك.. ولعل الأسطورة الأكثر أهمية التي بقت من ديانة بلاد ما بين النهرين هي ملحمة جلجامش، والتي تحكي قصة الملك البطل جلجامش وصديقه الهمجي إنكيدو، ورحلته السابقه للبحث عن الخلود وهو أمر مرتبط بموافقة جميع الآلهة [٧]. نُسيت العديد من جوانب الممارسات الشائعة والتعقيدات لهذه العقيدة مع مرور الزمن، كغيرها من الأديان المندثرة. ولكن لحسن الحظ أغلب المعلومات والمعارف نجت، فقد عمل المؤرخين والعلماء عملاً عظيماً بمساعدة علماء الدين والمترجمين لإعادة إحياء المعرفة العملية للتاريخ الديني والتقاليد والدور الذي لعبته هذه المعتقدات في الحياة اليومية في الحضارة السومرية والآكادية والآشورية والبابلية خلال تلك الفترة. ويُعتقد أن دين بلاد ما بين النهرين كان له تأثير كبير على الديانات اللاحقة في جميع أنحاء العالم من ضمنها: الكنعانية والآرامية واليونانية القديمة والديانات الفينيقية والديانات الموحِدة مثل الصائبة والإسلام. ومن المعروف أن الإله آشور كان يُعبد مع آلهة أخرى في آشور حتى نهاية القرن الرابع بعد الميلاد. فكانت ديانة بلاد ما بين النهرين ديانة شركية، فقد كانوا يعبدون أكثر من ٢,١٠٠ آلهة مختلفة وكثير منها كانت مرتبطة بمدينة أو ولاية معينة داخل بلاد ما بين النهرين مثل: سومر وأكاد وآشور ونينوى وأور وأوروك وماري وبابل. كانت بعض أهم هذه الآلهة: آنو وإنكي وإنليل وعشتار (عشتروت) وعاشور وشمش وشولمان وتموز وأدد/حداد وسين (نانا) وكور وداغان ونينورتا ونسروخ ونركال وتيامات وبيل ومردوخ. جان بوتيرو من المؤرخين الذين زعموا أن دين بلاد ما بين النهرين هو أقدم دين في العالم، مع وجود عدة مزاعم أخرى مشابهة. وبما أن الكتابة قد أخترعت في بلاد ما بين النهرين فمن المؤكد أنها الأقدم في التاريخ المكتوب. فما يعرف عن دين بلاد ما بين النهرين جاء من الأدلة الأثرية التي أكتشفت في المنطقة، لا سيما من المصادر الأدبية والتي عادةً ما تكون مكتوبة بالخط المسماري على ألواح الطين والتي تصف الأساطير والممارسات الطقوسية. ويمكن أن تكون غيرها من الأدوات مفيدة عند إحياء دين بلاد ما بين النهرين. وكما هو شائع في معظم الحضارات القديمة، أن الأجسام المصنوعة من المواد الأكثر متانة وقيمة، وهذا ما جعلها تبقى صامدة، كانت مرتبطة بالمعتقدات والممارسات الدينية. وهذا ما دفع أحد الباحثين إلى

زعم "أن معيشة شعب بلاد ما بين النهرين برمتها كانت منصبة على تدينهم، فكل شيء تقريباً بقي منهم من الممكن استخدامه كمصدر لمعرفة دينهم." على الرغم من أن هذه الديانة اندثرت بشكل كبير في عام ٤٠٠ بعد الميلاد تقريباً، ماعدا مناطق قليلة معزولة في آشور (الجزء العلوي من بلاد ما بين النهرين)، إلا أنها مازالت مؤثرة على العالم الحديث، غالباً بسبب العديد من القصص التي وردت في الإنجيل والموجودة اليوم في اليهودية والمسيحية والإسلام والصائبة، فهذه القصص من الممكن أن تكون مستندة في الأصل على أساطير بلاد ما بين النهرين القديمة، خصوصاً أسطورة الخلق وجنة عدن وطوفان نوح وبرج بابل وشخصيات مثل نمرود وليليث. وبالإضافة إلى ذلك، فإن قصة أصل النبي موسى تشابه قصة سرجون الأكدي. وقد ألهمت ديانة بلاد ما بين النهرين أيضاً مجموعات متعددة وثنية جديدة معاصرة للبدء في عبادة آلهتهم مرة أخرى، وإن كان ذلك بطريقة مختلفة غالباً عن طريقة شعب بلاد ما بين النهرين أنفسهم .

اثر الالهة في النصوص الأدبية :

ورد لفظ "أساطير" في تسع موارد متفرقة في القرآن الكريم، وهو تكرار يستحقّ بذل المجهود لدراسته واستخلاص المعاني المخبأة فيه، ولنا أن نسأل: ما موضوع الآيات التي ذكرت الأساطير؟ ومن الذي قالها؟ وما دواعي القول؟ ولماذا ذُكِرَت الأساطير في تلك المواضيع دون غيرها؟ وهل أنّ الله سبحانه قد ردّ على من ذكر الأساطير، ولماذا؟ وما هي العناصر المشتركة في الآيات كلّها؟ وهل يمكن أن نفهم شيئاً عن مضامين الأساطير من خلال فهمنا للآيات؟ ولماذا لم تأتِ لفظ "أساطير" لوحدها بل جاءت في الآيات كلّها بـ"أساطير الأولين"؟ ، العنصر المشترك في جميع آيات "أساطير الأوّلين" أنّها وردت على لسان الكافرين لدعوة الحقّ، ولم ترد على لسان غيرهم من أهل الكتاب، كما أنّ كلّ الآيات قيلت في مناسبات الاحتجاج والجدال حول قضايا إيمانية عقلية منطقية تدعوهم إلى النظر في الدعوة الجديدة نظرة متجرّدة أبرزها الدعوة للتوحيد وقبول البعث والحساب، وأمام عجزهم عن ردّ الحجة بالحجة يلجأون إلى إغلاق باب الجدال بنسبة ما يسمعونه إلى أساطير الأولين، وفي ذلك إشارة واضحة أنّ هؤلاء كانوا يعلمون أنّ هناك تراثا مسطورا وضعه الأوّلون ويبدو أيضا أنهم كانوا يحتفظون في أذهانهم ببعض معالمه، ودعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد ذكّرتهم بتلك المعالم، فأقرّوا بأنّ ما يعرفونه سابقاً عن أساطير الأولين يتضمّن معاني تقترب لما جاء به الرسول وهي تخالف معتقداتهم وما هم عليه، فقد حافظ التراث على مضامينه أو بعضها إلى عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عبر تناقله شفهيا إذ لم تكن المدوّنات والرقم متداولة كونها بقيت مطمورة تحت الأرض لآلاف السنين قبل أن تكتشف في العصر الحديث [٨]. إن للأسطورة جوانب متعددة ومتنوعة، فهي إن صح

التعبير – كما وصفها البعض أنها متاهة عظمى، فلذا نجد الكثير ينطلق في تعريفه متأثرًا بجانب أو عدة جوانب منها فتبدو التعريفات قاصرة، وقد نجد العكس حيث يلجأ البعض إلى تعابير فضفاضة تمتاز بالتعمية والمطاطية إلى حد يفقدها الدقة والتشخيص والتمييز. لا يوجد تعريف علمي للميثولوجيا يعني ليس بالضرورة أنها كاذبة في السياق العلمي كلمة أسطورة تعني "قصة مقدسة" أو "قصة تقليدية" أو "قصة عن الآلهة"، لكنها لا تعني "قصة مكذوبة" ، لذا يستخدم العلماء كلمة "أساطير دينية" بدون قصد الإساءة إلى الدين (على سبيل المثال، العالم قد يسمي الكتب الدينية المسيحية "أساطير" بدون قصد الإساءة إلى المسيحية يقول بعض الباحثين على سبيل المثال عن المسيح "إنها أسطورة لكنها وقعت"، لكن الاستخدام العلمي لكلمة أسطورة قد يسبب سوء فهم بسبب أن الكلمة تعني في الأوساط الشعبية "باطل"وقد وردت كلمة الأساطير في عدة مواقع في القرآن حيث جاء فيه تعبير "أساطير الأولين"[٩] أي قصص الأقدمين. أدت الاسطورة دورا رمزيا وتعبيريا اذ إن للأسطورة خاصية الشعر الذي يكاد يظل عصيا على أي وصف محدد، ولعل صعوبة الحد والتعريف كامنة في المطلق الذي تنزع إليه الأسطورة أو الذي ينزع إليه الإنسان من خلال الأسطورة، كما قد يكمن في كونها على حد تعبير بعضهم نظاما رمزيًا تلعب الاله فيه دورا يارزا ، وفي أن المنهج أو المنظور الذي يتعين النظر إليه منها لا ينبغي أن يكون جزئيًا انتقائيًا حيال هذه الحقيقة الثقافية المعقدة. ناهيك عن إننا لم نمر بتجربة الأسطورة مرورًا مباشرًا، عدا بعض منها، وهو بعض مشوش الأصل، متلون الشكل، غامض المعنى، والظاهر أنها على الرغم من امتناعها على التفسير العقلاني، تستدعي البحث العقلاني الذي تعزى إليه شتى التفسيرات المتضاربة، والتي ليس فيها، على كل حال، ما يستطيع تفسير الأسطورة تفسيرًا شافيًا[١٠] . انتشرت النتاجات الادبية الرافدينية وتنوعت اذ إن ابناء بلاد الرافدين القدماء أنفسهم لم يعملوا على تمييز النص الأسطوري عن غيره، كما انهم دعوه باسم خاص يساعدنا على تمييزه بوضوح بين ركام ما تركوه لنا من حكايات وأناشيد وصلوات وما إليها. ففي بيوت الألواح السومرية والبابلية، نجد أن النصوص الأسطورية مبعثرة بين البقية. ثم أن عنوان الأسطورة غالبًا ما كان يتخذ من سطره الافتتاحي الأول، شأنه في ذلك شأن بقية النصوص الطقسية أو الملحمية أو الأدبية البحتة وهذا ما حدث في التراث الإغريقي كذلك[١١].

من يدرس أهم النصوص الأدبية المنتجة في ذلك الوقت، نجد إن الملاحم والأساطير قد أخذتا السواد الأعظم من الآداب، وباعتبار ان الملحمة هي نتاج حضارة كبيرة ، فانها تميزت بإتقان الكتابة ووضوح الموضوعة وسلامة النظم كما ظهرت علية الملاحم التي عثر عليها ،ولم تكن تلك الملاحم مجرد رقم أدبية كتبها أديب مجهول حسب ، إنما هي

سيرة موضوعية كاملة لحياة زاخرة من الآلام والاندحارات والانتصارات والأفراح وكل شؤون الحياة الأخرى ولا نجد فيها أي اثر لشخصية المؤلف أو الشاعر الذي نظمها [١٢]

رغم ان النتاج الادبي في حضارة العراق القديم شاركت في إنتاجه أجيال كثيرة من الشعراء والأدباء ولم ينفرد بإنتاجه شاعر أو أديب واحد على غرار ما نعرفه في الآداب الحديثة كما وتنتمي معظم الملاحم والاساطير الى فن القصة والرواية رغم انها كتبت شعرا او نظما على طريقة الشعر الالهة تشكل محورا مهما في نسجها ،وبذلك نكون امام ثلاث اجناس ادبية ، الا ان قراءة متأنية لاي اسطورة او ملحمة ، نجد ان عنصر السرد يطغى عليها من عقدة وحل موضوعي وفكرة وحدث وحبكة التي هي فن ترتيب الحوادث وسردها ، وبيئة زمانية ومكانية وشخصيات واسلوب اضافة الى اللغة والصراع، فالرقم التي عثر عليها لقصص مثل قصة " اينوما اليليش " تتميز بالسرد وباتقان الحبكة وهي اقدم قصة تطرح موضوعة الخلق واصل الوجود . وتتجلى قوة السرد القصصي المذهل في ملحمة كلكامش ، وهي قصة شعرية تقوم على البطولة وتحدي الخوارق ، وتلعب الآلهة دورا مهما في تسيير جوانب منها . وبذلك سجلت حضورا مدهشا في مسيرة الإبداع العراقي القديم كما ورد اسم كلكامش في قائمة الملوك السومرية وهو خامس ملك في سلالة أوروك الأولى وحدد زمن حكمه بزمن حكم أكا ملك كيش ،إن ملحمة جلجامش قصيدة تقع في اثني عشر لوحا في قصة بحثه عن الحياة الأبدية ، ويتجسد فيها الصراع في تعارض واضح للقوى غير المتكافئة ، بين كلكامش وصديقه انكيدو من جهة وبين قوى خارقة للآلهة والمخلوقات المتوحشة المخيفة من جهة اخرى وصولا الى مكان الخلود الذي يبحث عنه البطل السومري[١٣].

حمل هذا الصراع عنصرا دراميا نجد فيه تحد للقوى الخارجية والقدر المتربص مع ما يدور داخل نفس كلكامش الباحث عن عشبة الخلود من عواطف وانفعالات وهموم وآلام وثأر .. ولعبت اللغة الدرامية دورا بارزا في اظهار نوع الشخصية التي تدور حولها احداث الملحمة ، وكشف النوازع والاسرار والخفايا عبر حوارات متناسقة واخيلة معبرة عن ذات يقودها وهم الخلود المادي الابدي كما ان اللغة التي كتبت فيها الملحمة ، سابقة لأوانها كثيرا[١٤] . ظهرت الحبكة الادبية الممزوجة بقدسية الالهة التي لا يخلو نتاج من لمساتها ، وربما كانت من القوة والأحكام لم يستطع أي كاتب اخر تقليدها ، انما كتبوا على شاكلتها ملاحم وأساطير متعددة اهمها الطوفان وقصة الخليقة والعالم السفلي، وسجل كاتبها ريادة في استخدام العناصر المتتالية في سرد القصة الشعرية التي صارت مرجعا لكثير من القصص ، وأبرزت المتخيل والواقعي في إدارة القصة ، ولا سيما ان البطل كلكامش هو احد ملوك مدينة اوروك. ويعني هذا بأن كاتب الملحمة اضاف عنصرا دراميا جديدا لتلك الشخصية الإشكالية حينما وصفه بان ثلثاه اله وثلثه الأخر بشر، والمراد هنا وحسب التوارد القصصي في ادب

العراق القديم ، بأن يجعل الكاتب ، بطله قريبا من صنف الآلهة للإثارة وللتبرك وسحب المعتقد الديني الى ثنايا القصة كواحد من أهم شروط أي منجز أدبي في تاريخ العراق القديم .[١٥] يبدو هذا التداخل محشورا بداخل جسد النص ، الا انه احد أركان الكتابة الأدبية الذي لا يمكن ان يركن جانبا ، ناهيك عن تمسك الكاتب السومري بمعتقده الديني الذي انعكس بدوره في أدبه ويشتغل النص في الملحمة على عناصر الاثارة والترقب والتهويل ، فهي تؤكد بطبيعتها على قصة بطولة انسان وكيف يسبر اغوار الهوائل للحصول على خلوده المادي ، وهو يصارع فكرة الموت الذي صار قضيته الوحيدة[١٦]:

آه لقد صار صاحبي الذي أحببت ترابا ، وأنا سأضطجع مثله فلا اقوم أبد الآبدين

فيا صاحبة الحانة أيكون في وسعي ان لا أرى الموت الذي أخشاه وارهبه

تمجد الملاحم عادة بالانسان البطل بعيدا عن تدخلات الآلهة وافعالها التي نراها متجسدة جلية في الاساطير ، اذ تتسيد الآلهة البطولة المطلقة دون منافسة البشر الفاني ، وتقع ملحمة كلكامش في ثلاثة اقسام رئيسية الاول الاعمال البطولية لكلكامش ووصف كامل لمدينة اوروك والثاني يروي قصة الطوفان وحصول اتونابشتم رجل الطوفان على الخلود ومعاناة كلكامش في الوصول اليه بينما يروي القسم الاخير قضية الموت والعالم السفلي ، كما ان ملحمة كلكامش أوّل ملحمة في تاريخ الأدب العالمي ، فهي أقدم من الأوذيسة والإلياذة بألف سنة او اكثر ويمكن عدها هوية الادب العراقي القديم دون ان اجحاف للملاحم والاساطير العراقية الاخرى ، وجسد بطولتها كلكامش الذي ثلثاه بشر والثلث الاخير اله [١٧] . عمد الاديب الرافديني في وصف اية ظاهرة بطريقة يضفي عليها لمسة من الاله الممزوجة باحد الخصائص التي ترد في نصوص الملاحم والاساطير الرافدينية القديمة والمتعلقة في جانب منها باللغة فقد تميزت بعضها بإيراد الابيات الشعرية مكررة في مقدمات اغلبها ،وقد وجدنا في بحثنا ، ان التكرار موجود في نص ملحمة كلكامش كثيرا وخاصة في بدايتها وفي الخاتمة ، ففي العمود الثالث من اللوح الاول للملحمة نجد التكرار في حوار الصياد مع والده [١٨]: **((فتح الصياد فمه وقال لوالده ، يا والدي هناك رجل قوي يأتي من الجبل ، هو الاقوى في البلاد ويشبه بضخامته ، جنود السماء وقوته عظيمة جدا**

ويتردد على المنطقة دائما ، على الدوام يتزاحم عند مصدر الماء مع الدواب

ويضع اقدامه دائما عند مدخل مصدر الماء ، انا اخاف ولا اقترب منه

وقد ملأ الحفر التي حفرتها ثانية ، وقلع مصائدي التي كسرها

وجعل الانعام دواب السهل تهرب من يدي))

ومن السطر ٢٩: **هناك رجل قوي قد اتى من الجبل ، مثل مخلوقات السماء قوته عظيمة**

يتزاحم على الدوام عند مصدر الماء مع الدواب

وتتوالى الاسطر المتكررة حتى السطر رقم ٥١.

اختار الاديب الرافديني طريقة في نسج نتاجه الادبي وذلك باللجوء الى تكرار بعض الكلمات او العبارات والغاية من التكرار هو ان يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء اكان اللفظ متفق المعنى ام مختلفا ، او يأتي بمعنى ثم يعيده ويؤتى به لأغراض عدة أهمها التأكيد او في مقام التعظيم والتهويل او للتلذذ بذكر المكرر او للتعجب كما ان خاصية التكرار في الملحمة هي خاصية من الخصائص العامة لأدب العراق القديم التي امتاز بها [١٩] . ففي اسطورة (نزول انانا الى العالم الاسفل) نجد المستهل يقول [٢٠]:

من الاعلى العظيم اتجهت بأفكارها نحو العالم الأسفل

الآلهة من الأعلى العظيم اتجهت بأفكارها الى الأسفل العظيم

انانا من الأعلى العظيم اتجهت بأفكارها الى الأسفل العظيم

هجرت سيدتي السماء وهجرت الأرض ، والى العالم السفلي هبطت

هجرت انانا السماء وهجرت الأرض ، وهبطت الى العالم السفلي

نبذت السيادة ونبذت السلطان ، والى العالم السفلي هبطت

نستنتج من بين سطور أسطورة ولادة الإله القمر (ننا) وآلهة اخرى نجد ان كلمة (انظر) تتكرر عدة مرات نجد كيف يوضح الكاتب وجود المدينة واهميتها وكيف يصفها وكأنها رباط الارض والسماء ثم يبين مدى الاهتمام بها من ناحية التحصينات والاسوار الحامية للمدينة في ظل رحمة الاله [٢١] :

انظر رباط السماء والارض ، المدينة ، انظر (نفر) المدينة

انظر السور الحامي في المدينة ، انظر (ادسالا) نهرها الصافي

انظر (كاركورنا) ميناءها ، انظر (كاراسرا) ميناءها الذي ترسو فيه السفن

انظر (بولال) بئرها العذبة

نجد في قصة سومرية اخرى تتكون من نحو ١٠٨ أسطر تتعلق بخلق العالم وتنظيمه ووسائل عمرانه نجد ان الكاتب قد كان يبغي ان يوضح العمران ووسائل انجازه وقد عززه بذكر الاله وبركاته و في المقدمة منها[٢٢]:

صنع الفأس وكان نهار ، وفرض العمل وقرر المصائر

واودع في الفأس السلة والحول والقوة ومجد (انليل) فأسه

فأسه من الذهب ، ورأسها من حجر اللازورد

فأس بيته من ذهب وفضة ، فأسه التي من الذهب ورأسها من حجر اللازورد

اسطورة اخرى عن كلكامش عنوانها كلكامش وانكيدو والعالم السفلي ،لم تخلو من ذكر الالهة والتبرك بخطواتها واعمالها التي يصورها الاديب في خياله وكأنها ملازمة له في

كل خطاه ويثبت انها تحتل كل افكاره وقد اتخذ من التكرار في الابيات الشعرية وسيلة للتأكيد والحفظ وورد فيها تكرار واضح لبعض المقاطع ،وقد وجد النص في رقم معظمها في نفر وواحد في اور[٢٣] : **بعد ما فصلت السماء عن الارض ، وبعد أن فصلت الارض عن السماء ، وبعد أن سمي الانسان بأسمه ، وبعد أن حما (آنو) السماء**
وبعد أن حمل (انليل) الارض ، وبعد أن نقلت (ارشكيكال) الى كور
هدية له. وبعد أن ابحر ، وبعد ان ابحر
وبعد أن أبحر الاب الى كور ، وبعد أن أبحر انكي الى كور

يتضح ان الاديب الرافديني القديم ، وجد في التكرار وظيفة تحقق تماسكا في نصه الذي يقرأ شعرا ونثرا ، وهي ميزة مهمة واستثنائية في نصوص العراق القديم وخاصة الاساطير والملاحم السومرية التي وضعت لتقرأ بأوجه عدة رغم ان كاتبها يبدو شاعرا على الاغلب ، يؤدي دورا توثيقيا واعلاميا ليخبر الماضيين والحاضرين بعظيم انجازات ابناء المجتمع الرافديني القديم ويوصل رسالة الى الاجيال المتتالية من بعده.

الخلاصة : ان الدين يعد عاملا مهما من العوامل التي دعت الانسان للعمل والسعي لاجل ايجاد كل شيء يرضي الالهة كي يتجنب غضبها ويفوز برضاه معتقدا ان هذا الشيء الذي سيجعله سعيدا هانئا في حياته ، وهذا يوصلنا الى حقيقة مهمة وهي صدق ايمانه ومعتقده حين ذاك لهذا من الممكن ان نعد الدين عاملا ايجابيا ادى الى وصول الانسان الى معرفة الكثير من الجوانب الحضارية كالعمران والادب والانجازات الفنية والفكرية ، وهذا الايمان المطلق بالإلهة جعله يضع لمساتها في جميع خطواته انتصارات العسكرية وبناء مشاريعه العمرانية وتشيده للمدن ، زراعته لأرضه ، ووضعه للقانون وكتابته للأدب والشعر وسعيه للظهور بأكمل صورة في نظر الاله لينال رضاه .

هوامش البحث :

١- – بوتيرون جان ، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، (حلب: مركز الإنماء الحضاري للنشر، ٢٠٠٥،،ص ٢١٥

٢- رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة: الأب ألبير أبونا، ط٢(بغداد: دار نجم المشرق،٢٠٠٤ ،ص٢١٧

٣ – لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة:- الأب ألبير أبونا ود. وليد الجادر وأ.م. خالد سالم إسماعيل، مراجعة:- ا.د. عامر سليمان .، بغداد، ٢٠٠٤ ،العلامة: ٣٦٧، ص١٩٨

4 - Moorey ،Peter Roger Stuart, A Century of Biblical Archaeology,1991,p.233

٥- بوتيرو، جان ،المصدر السابق ، بغداد ٢٠٠٥،ص٢٨٥

٦- موسى ،مريم عمران ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الآداب)،١٩٩٦،ص١٥٦ ،

٧- فوزي رشيد، المعتقدات الدينية، حضارة العراق، ج١(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥،ص١٦٥
٨- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، الأسطورة.. توثيق حضاري،ط١،٢٠٠٩،ص٨٧
٨- القرأن الكريم ،سورة الانعام ،النحل ،القلم ،المططفين.
٨- جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى ، تر : جبرا إبراهيم جبرا ، دار مكتبة الحياة، (بغداد : ١٩٦٠) ، ص٢٣٦
،ص١٠٧ صلاح، أساطير سومر وبابل ،القاهرة ٢٠٠٩، أبو السعود،- ٩
١٠-علي وسليمان ، فاضل عبد الواحد وعامر، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل : ١٩٧٩) ، ص ١٧٧
١١-قون زودن،مدخل الى حضارات الشرق الادنى القديم،تر، فاروق اسماعيل ،بغداد،٢٠٠٣،ص٢١٥
١٢- باقر ،طه، ملحمة جلجامش أوديسة العراق القديم ،١٩٦٢،ص١٠٢
١٣- أبو السعود ،المصدر السابق ٢٠٠٩،ص٢٥٦ .
١٤-ولكشتاين وكريمر ، إينانا ملكة الأرض والفردوس أسطورة بلاد ما بين النهرين ، تر : شاكر الحاج مخلف، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠٨) ، ص١٨٤
١٥- الشواف ، قاسم ، ديوان الأساطير ، ج١، ص١٧٥
١٦-باقر ،طه، مقدمة في ادب العراق القديم،بعداد،١٩٧٦،ص١٦٧
17- Allport and Postman, The Psychology of Rumor, 1948, P.163
١٨- علي، فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة، ط٢(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ٢٠٠٠ ،ص١٠٨
-باقر، طه، المصدر السابق،١٩٧٦،ص١٠٦ ١٩
٢٠-أبو السعو، د.صلاح ، المصدر السابق،٢٠٠٩،ص٢١١
٢١-سوسة، احمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين ج٢، بغداد ١٩٨٣،ص١٩٣

Abstract:

Moreover, The religion is an important factor that called man to work and seek to find everything that pleases the gods to avoid anger and win the satisfaction of believing that this thing that will make him happy in his life, and this brings us to the important fact is the truth of his faith and belief then for this we can promise Religion is a positive factor that led to the arrival of man to know many aspects of civilization, such as architecture, literature and artistic and intellectual achievements, and this absolute faith in the goddess make it puts its touches in all steps military victories and construction of urban projects and construction of cities, planting land, and put it to law and writing literature and poetry His quest for the emergence of the fullest image in the eyes of God to gain satisfaction.